توظيف لغة الجسد في القرآن الكريم

م.م عبد الحسين أحمد الخفاجي
جامعة ديالى / كلية التربية الأساسية

ملخص البحث

لا شك أن للغة العربية جسداً بنيوياً يكشف عن معنى ، وأن هذا الجسد مؤتلف من مستويات لغوية ، وإن كل مستوى من تلك المستويات يفضي إلى معنى خاص به ، فالمستوى الصوتي الذي ينبئ عن الدلالة الصوتية ، والمستوى الصرفي الذي تتشكل فيه الدلالة الصرفية ، والمستوى المعجمي الذي تتشكل في الدلالة المعجمية وأخيراً المستوى التركيبي الذي يستشرف منه الدلالة التركيبية . وبترابط هذه المستويات جنباً إلى جنب يغدو الناتج جسداً ذا معنىً بنيوياً.

يعد هذا البحث برأي الباحث مدخلاً للولوج في بحث لغة الجسد ذلك الرافد الصامت الذي يفضي إلى معنىً بل معانٍ تتخطى حدود المكان منسلة من المحلية إلى العالمية لتباري رافد الصائت رغم الفرق الشاسع بين الرافدين في الآليات والمديات .

وفي هذا البحث تعريج على الحركات الجسدية في القرآن الكريم لبيان مواضعها ، وهيئاتها ، واستشراف أثرها في رسم المعنى ، وتشخيصه ، وتحليل الخطاب القرآني الشريف . فللرأس مثلاً حركات وهيئات حمالة لدلالات متباينة بتباين الحال النفسية والسياق ، كحركة تنبئ عن الرفض ، وأخرى عن القبول ، وثالثة عن الاستهزاء ، ورابعة عن الإنكار ، وخامسة عن التحية . وقد حدد باكو ثلاث هيئات كلية للرأس على النحو الآتي : .

- ❖ الرأس الخفيض الذي قد يكون له محمولات دلالية لا قبل لنا بتعيينها إلاّ بالسياق والحركات المصاحبة ، كالخجل ، أو الخوف ، أو الخضوع ، أو الاستسلام ، أو الضعف ، أو الجبن .
- ❖ الرأس المرفوع الذي قد يُلمح إلى الكِبر والتعالي ، أو العداء ، أو الإباء ، أو الازدراء .

❖ الرأس المنحني المثني إلى جانبٍ ، فقد يومئ إلى الفتنة ، أو الغواية ، أو الملاطفة ، أو الحنان [1] .

وقد وردت في التنزيل هيئات متعددة للرأس كالرأس الخفيض المتطامن في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ [2] ، وسياق الآية الشريف يوضح أن مسألة النبي إبراهيم (على نبينا وآله وعليه السلام) المفحِمة أدت إلى حيرتهم ، وإعادة النظر ، والإطراق في التفكير .

المقدمة

للغة أية لغة أهمية بالغة في حياة المجتمع الإنساني ؛ لأنها الوسيلة الأفضل والأكمل للتفاهم والتعامل والاتصال بين الناس ، وتختلف اللغات الإنسانية فيما بينها ، فمنها لغة الأصوات المركبة من المقاطع اللغوية التي تتألف منها الكلمات ومنها لغة الجسد .

وكما إن اللغة هي مجموعة من الرموز الصوتية والمرئية التي اتفق أفراد المجتمع على معاني ومدلولات لها ، مما سهل تفاهمهم ويسره وحقق تعاملهم في شتى حياتهم . وبفضل اللغة يتعلم الناس ويتعلمهم تبنى مجتمعاتهم وحضارتهم جيلاً بعد جيل .

وبقدر ما هو مهم أن ينطق الإنسان اللغة أو يسمعها ليتفاهم مع الآخرين ويتفاعل معهم بالكلمات التي ينطقها أو يسمعها، لا تقل أهمية إيصال المعاني بلغة الجسد من خلال الإشارات التي قد تكون أكثر دلالة من النطق أحياناً ، أو أبلغ وأسرع في بيان المقاصد .

وبطبيعة الحال كلما كانت حواس الإنسان متكاملة وسليمة كان تعلمه وتفاعله في المجتمع أيسر وأسهل وأسرع ، وتجلت عظمة الخالق سبحانه وتعالى في إيداع الإنسان قدرة هائلة على تعويض ما يفقده من حواس في تعلم لغة قومه معتمداً على حواسه الأخرى السليمة ، ومن هنا تأتي أهمية لغة الجسد كوسيلة يتم بواسطتها تكوين شخصية الأفراد وتأهيلهم ممن فقد حاسة النطق للإندماج الكامل والفعال في

---

(١) لغة الحركات ، لنتالي باكو : ص ٦٠ .

(2) سورة الأنبياء ، الآية الكريمة : 65 .

مجتمعاتهم بدلاً من أن يصبحوا عالةً عليه من ناحية ، فضلاً عن الاستعاضة بلغة الجسد لإيصال المعاني لدواعٍ بلاغية ، وجمالية من ناحية أخرى .

واقتضت منهجية البحث تقسيمه على النحو الآتي : .

- ❖ المبحث الأول : استعراض الحركات الجسدية المؤدية إلى المعاني التي وظفها القرآن الكريم في خطاباته.
- ❖ المبحث الثاني : دلالات الحركات الجسدية معززة بالآيات القرآنية .
- ❖ المبحث الثالث : اللوازم الساندة للغة الجسد في القرآن الكريم .
- ❖ الخاتمة : وتضمنت خلاصة مختصرة لمضمون البحث، والاستنتاجات والتوصيات.
- ❖ ثبت بالمصادر والمراجع التي اعتمدت في كتابة البحث .

المبحث الأول

استعراض الحركات الجسدية المؤدية إلى المعاني التي وظفها القرآن الكريم في خطاباته

وظف القرآن الكريم بعض الحركات التي يقوم بها الإنسان مستعيناً بجسده الذي وهبه الله له لتحقيق المنافع الكثيرة ومنها إيصال المعاني بواسطة لغة الإشارة ((ولغة الإشارة أو لغة الصم كلغة الأصوات المركبة ، وإن كان كل يتخذ طريقة للتعبير ، فإذا كانت لغة الأصوات تستخدم جهاز النطق لإصدار الأصوات ، وحاسة السمع لالتقاط تلك الأصوات ، فإن محور لغة الإشارة هو حركة اليد وأصابعها لتصوير الألفاظ ، ومهمة حاسة النظر التقاط هذه الإشارة وترجمة معانيها)) [١] فضلاً عن كون ((لغة الإشارة لغة قائمة بذاتها ، فهي ليست ترجمة للغة العربية الفصحى أو للهجة من لهجات الوطن العربي ، إنها قواعد ونظم ، ولغة مستقلة لها فوائدها ونظمها والذي يمكننا من تركيب جمل كاملة)) [٢] .

ويمكن تعريف لغة الإشارة Sign Language بأنها ((لغة وصفية ذات نظام من الرموز اليدوية أو الحركات المشكلة أو المصورة التي تستخدم فيها حركات الأيدي وتعبيرات الأذرع والأكتاف ، لوصف الكلمات والمفاهيم والأفكار والأحداث التي يستجيب لها الفرد أو يرغب في التعبير عنها)) [٣] .

وقد استخدم القرآن الكريم هذه الرموز والحركات ووظفها في بعض آياته لوصف بعض السلوكيات التي حصلت في المجتمع الإسلامي عوضاً عن لغة الأصوات . ويمكن استعراض هذه الرموز والحركات على النحو الآتي : .

الرأس

استخدم القرآن الكريم حركات الرأس وهيئاته ووظفها في دلالات متباينة كالرفض والقبول والاستهزاء والإنكار والتحية وعلى النحو الآتي : .

- ❖ الرأس الخفيض المتطامن .
- ❖ تلوية الرأس .

---

(1) قاموس لغة الإشارة للصم ، لماجدة السيد عبيد ، ص : 36 .

(2) المصدر نفسه ، ص : 36 .

(3) المصدر نفسه ، ص : 36 .

❖ إنغاص الرأس .

الوجه

للوجه حركات فطرية فطر الله سبحانه وتعالى الخلق عليها كما هو ملاحظ بشكل جلي عند الأطفال ، ومكتسبة تتخلق عند المرء بالاكتساب والتعلم عن طريق المحاكاة والتقليد ، والدربة ، والمراس ، وقد تختلف دلالات هذه الحركات بين الشعوب والأمم بتأثير الثقافة الموروثة جيل بعد جيل ، إلا أنها توظف بشكل واسع في إيصال المعاني والدلالات للآخر ، ويمكن استعراض هذه الدلالات على النحو الآتي : .

❖ الفرح .
❖ الغضب .
❖ البهجة .
❖ الحزن .
❖ الاشمئزاز .
❖ الخوف .
❖ الدهشة .

العين

إنّ للعين أثراً واضحاً في لغة الإشارة والحركات ، وتستخدم في كثير من الدلالات التي يراد أن تصل إلى الآخرين وإن ((العين باب القلب ، فما كان في القلب ظهر في العين)) [١] وروى عن الأصمعي عن غيره إنه قال : ((إني لأعرِفُ في العين إذا عَرَفَتْ ، وأعرِفُ فيها إذا أنكرت ، وأعرِفُ فيها إذا لم تَعرِفْ ولم تُنكرْ ، أما إذا عَرَفَتْ فَتَخْواصُّ [٢] ، وإما إذا أنكرت فتجحظ ، وأما إذا لم تَعْرِفْ ولم تُنكر فتسجو)) [٣]

---

(1) العقد الفريد ، لابن عبد ربة الأندلسي ، ج2 ، ص : 115 .

(٢) تخواص ، فعل مضارع ، والخوص غؤور العين ، والحوص ، بالحاء ضيقها .

(٣) العقد الفريد ، لابن عبد ربة الأندلسي ، ج2 ، ص : 116 .

وقد ورد للعين في التنزيل العزيز صور حركية متباينة بحسب السياق وبحسب الحال، ووظفت هذه الصور في عدة دلالات ، وعلى النحو الآتي .

- ❖ العين المزدرية الهازئة .
- ❖ العين الكارهة الساخطة .
- ❖ العين الدائرة الوجلة .
- ❖ العين المائلة الزائغة .
- ❖ العين الضيقة الكليلة .
- ❖ العين الهامزة الغامزة .

اليد

تستعمل اليد في لغة الإشارة والحركات أكثر من باقي أعضاء جسم الإنسان للسهولة من ناحية ولوسع دائرة استعمالها من ناحية ثانية ، واستعمال أصابع اليد في دلالات أخرى من ناحية ثالثة ، وقد ورد لليد ، والأصابع في الآيات القرآنية صور وظفت في دلالات كثيرة ، وعلى النحو الآتي .

دلالات اليد

- ❖ الحيرة
- ❖ الاستهزاء
- ❖ السكوت وإبداء الغيظ

دلالات الأصابع

- ❖ الخوف
- ❖ الغيظ
- ❖ التصامم

المشية

من الواضح أن للمشية هيئات دالة على معان عدة مخصوصة ، فضلاً عن كونها تعطي نوعاً من فرادة الهوية الشخصية للفرد ، وبطبيعة الحال تختلف مشية الأفراد بعضهم عن بعض لدرجة أن قسماً من الأفراد يميزون بمشيتهم قبل التعرف على معالمهم الأخرى عن قرب ، ولكل منا ((مشيته الخاصة به ، وإيقاعه ،

وترجيح ذراعيه ، وتوجيه قدميه ، إن مشيتنا تؤلف جزءً من هويتنا ، ومع ذلك فقد تختلف من يوم إلى آخر تبعاً للحالة النفسية التي نجد أنفسنا فيها ، وليس مزاجنا هو العنصر الوحيد الذي يمكن أن يعدّل مشيتنا ، حتى أن للأرصاد الجوية تأثيراً فيها))[١] ، ويمكن تقسيم هيئات المشي بحسب دلالاتها على النحو الآتي .

- ❖ المشية الرشيقة : ويكون الذقن فيها مرفوعاً ، والخطوات واسعة ، والخطوُ موقعاً ، والأنف شامخاً .
- ❖ المشية المهّادة " البولدوزر " : ويكون الكعب فيها مغروزاً في الأرض ، والخطوة سريعة ثابتة ، والنظر مستقيماً موجها إلى الأمام ، مصروفاً تلقاء هدفٍ مرادٍ لا محيد عنه .
- ❖ المشية المخلّعة : وفيها يبدو آتيها كأنه مركب على نوابض كل ما فيها يتحرك .
- ❖ المشية البليدة : وتظهر الخطوة فيها مرتكسة ، والساق مجرورة مرتخية ، والقدمان مثقلتين .
- ❖ المشية الشبح : والتي يظهر فيه طرفا القدمين ملامستين للأرض ، منزلقتين خفيةً دون أن يحدثا جلبةً أو أثراً إلا كما يحدثه التيار الهوائي[٢] .

المبحث الثاني

(1) لغة الحركات ، لباكو ، ص : 54 .

(2) المصدر نفسه ، ص : 55 . 56 .

دلالات الحركات الجسدية معززة بالآيات القرآنية

يلفي القارئ في التنزيل العزيز آياتٍ كريماتٍ تشتمل على أوصافٍ من الإشارات ، والحركات الجسدية المؤدية إلى معانٍ كثيرةٍ ، وغالباً ما تكون تلك الإشارات ، والحركات سبيلاً من سبل وصف المعنى وتشكيله ، وتكون سبيلها الكناية كتقليب الكفين في مقام الندم ، أو تقديم رجل وتأخير أخرى في مقام الحيرة والتردد ، و ((قد أجمع الجميع على أنّ الكناية أبلغ من الإفصاح ، والتعريض أوقع من التصريح ، وإن للاستعارة مزية وفضلاً ، وإنّ المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة)) [1] .

وسنعرج على هذه الإشارات والحركات الجسدية التي وردت في الكتاب الكريم لبيان مواضعها ، وهيئاتها ، وتوظيفها في رسم المعنى ، وعلى النحو الآتي : .

الرأس

للرأس إشارات ، وحركات ، وهيئات حمالة لدلالات متباينة بحسب تباين الحالة النفسية للإنسان والسياق الذي توظف فيه هذه الحركة لتترجم مقاصد ذلك الإنسان وما يرمي إليه من أهداف رسمها ، أو رسائل ينوي إيصالها عن طريق تلك الإشارات والحركات ، كالحركة التي تنبئ عن الرفض ، والقبول ، والاستهزاء ، والإنكار ، والتحية ، والأمر ، والتعالي ، والملاطفة وغير ذلك من المعاني والدلالات .

وقد وردت في القرآن الكريم هيئات للرأس كما في الجدول (١) .

الجدول (١)

حركات الرأس في القرآن الكريم

نوع الحركة	الإشارة القرآنية	المعنى والدلالة

(1) دلائل الإعجاز ، للجرجاني ، ص : 70 .

الـــــرأس الخفــيض المتطامن	﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ [1]	يقـرر القـرآن الكـريم فـي هـذه الآيـة المباركة أن مساءلة نبي الله إبراهيم (على نبينا وآله وعليه السلام) المفحمة أفضت إلـى ولـوجهم فـي بـاب الحيـرة ، ورجـع النظـر ، وإطـراق فـي التفكيـر ، وكيـف هو حـال المرء الـذي لا حجـة لـه حين يســاءل فــيفحم ويغــرق فــي التفكيــر والتنقير والتأمل ، بالتأكيد ستكون حركة رأسـه علـى الهيئـة التـي تصـورها الآيـة الكريمـة التي تنبـئ عن إرتكاسه ، وأول خـاطر ورد علـى نفوسـهم أن هـؤلاء لا ينطقون فتحيروا وعلموا أنهـا لا تنطبق [2] و ((إذا كــان الــرأس مقنعــاً ، أو منكوسـاً ، أو منغضـاً ، أو ملتـوىً ، أو مصـبّاً عليـه : فسـائر أعضـاء البـدن يكون كذلك بالأولوية والتبع)) [3] .
	﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [4]	هنـا يقـرر أن حركـة الـرأس تنبـئ عـن العجـز والـذل يـوم يقـوم النـاس لـرب العالمين ، ((فأما المجرمون الذي أوتوا كتـبهم بشـمالهم فقـد نـدموا ولات حـين منــدم ، وصــاروا أذلــة قالبــاً وقلبــاً ، فالرؤوس منكوسة متطامنة مطأطأة من

(1) سورة الأنبياء ، الآية الكريمة : 65 .

(2) لمزيد من التفصيل ، أنظر مجمع البيان للطبرسي ، ج7 ، ص : 51 .

(3) التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، للعلامة المصطفوي ، ج4 ، ص : 9 .

(1) سورة السجدة ، الآية الكريمة : ١٢.

		الـذم ، والخـزي ، والحـزن ، والـذل ، والغم)) [1].
تلويـــــة الرأس	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [2]	فـي هذه الآيـة يوضـح القرآن الكريم ((في تلوية الرأس يتجلى معنى الاستهزاء والإباء ، والحق أن هذه حركة جسدية شائع استعمالها بيّن معناها في يومنا هـذا ، وسياق الآيـة ينبـئ عـن هـذا المعنى الذي جاء في جنب المنافقين ، فلما نـزل القـرآن بصـفتهم مشـى إلـيهم عشـائرهم قـائلين : افتضـحتم بالنفـاق ، فاطلبوا أن يستغفر لكم ، فكان جوابهم بهذه الحركة الجسدية استهزاءً وإباءً)) [3] .
إنغـــاص الرأس	﴿أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً﴾ [4]	في هذه الآية الكريمة يظهر لنا مشهد حوار بين طرفين : مؤمنون مثبتون ، وجاحـدون منكـرون يتوسـلون لبـث إنكـارهم بالرافـدين : الصـامت ، وهـو إنغاص الرأس ، والصائت ، وهو قولهم بـأفواههم ((فسيقولون متـى هـو ؟ أمـا عـن دلالـة إنغـاص الـرأس فهـي قائمـة علـى تحريكـه تحريـك المسـتهزئ

(2) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ج١٤، ص : ٦٤ .

(3) سورة المنافقون ، الآية الكريمة : ٥ .

(4) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ج ١٨ ، ص : ٨٣ .

(١) سورة الإسراء ، الآية الكريمة : ٥١ .

		المستخف المستبطىء لما أنذروا به)) [١] ، وقال القرطبي : ((وأنغص رأسه : أي حركه كالمتعجب من الشيء)) [٢].

الوجه

للوجه إيحاءات صامتة تفضي إلى دلالات أشار إليها القرآن الكريم في بعض الآيات الكريمة كما هو موضح في الجدول (٢) .

الجدول (٢)

حركات الوجه في القرآن الكريم

الإشارة القرآنية	المعنى والدلالة
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ [٣]	دلالة البهجة والحبور في قول الحق باطمئنان وثقة تنبئ عن يقين راسخ .
﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [٤] ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [٥]	دلالة الخوف والانهزام والعجز عن قول الحق ، فضلاً عن الخواء والتعب .
﴿ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ [٦] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [٧]	دلالة الغضب في قول الحق .

(٢) مجمع البيان ، للطبرسي ، ج٦ ، ص : ٢٠٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ١٠ ، ص : ١٧٨ .

(٤) سورة عبس ، الآيات الكريمة : ٣٨ . ٣٩ .

(٥) سورة القيامة ، الآيات الكريمة : ٢٤ . ٢٥ .

(٦) سورة عبس ، الآيات الكريمة ٤٠. ٤١ .

(١) سورة المدثر ، الآيات الكريمة : ٢١ . ٢٢ .

(٢) سورة النحل ، الآية الكريمة : ٥٨ .

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١)	دلالة الاشمئزاز المقرونة بالغضب في قول الحق .
﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (٢)	دلالة التعجب في قول الحق .
﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (٣)﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ (٤)	دلالة الراحة والتنعم .
﴿...سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ... ﴾ (٥)	دلالة العبادة وحسن السمت .
﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾ (٦)	دلالة الانقياد والاستسلام .
﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧)	دلالة الضلال والتخبط .

يتضح في سياق هذه الآيات ودلالاتها الإشارة إلى تقسيم رسم الهيئات الخارجية التي تنبئ عن الأحوال النفسية عند مقام العرض على الله ، وفي مقام الفوز أو الخسران المبين ، متجلياً في الوصف الجسدي بصورة عامة ، ووصف الوجه بصورة خاصة لما للوجه من خصوصيات من حيث تمركزه في أعلى مكان من جسد الإنسان ونادراً ما يتم حجب صورته عن الناظرين باللباس كما هو الحال

---

(٣) سورة الحج ، الآية الكريمة : ٧٢ .

(٤) سورة الذاريات ، الآية الكريمة : ٢٩ .

(٥) سورة المطففين ، الآية الكريمة : ٢٤ .

(٦) سورة الغاشية ، الآية الكريمة : ٨ .

(٧) سورة الفتح ، الآية الكريمة : ٢٩ .

(٨) سورة طه ، الآية الكريمة : ١١١ .

(٩) سورة الملك ، الآية الكريمة : ٢٢ .

في باقي أجزاء جسد الإنسان ، ويمكن عرض صور الوجه بحسب ما جاء في بعض التفاسير كمجمع البيان للطبرسي ، والجامع لأحكام للقرآن للقرطبي ، والكشاف للزمخشري على النحو الآتي : .

- ❖ فثم وجوه تبيض ، وأخرى مسودة .
- ❖ وثم وجوه مسفرة مضيئة متهللة كالصبح إذا أسفر ، وأخرى يعلوها السواد والغبار استيحاشاً وخوفاً .
- ❖ وثم وجوه ناظرة من نضرة النعيم قد وجدت ما وعد ربها حقاً ، وأخرى باسرة خائفة شديدة العبوس تترقب أن يفعل بها داهية تقصم فقار الظهر .

العين

عقد ابن عبد ربة الأندلسي باباً في عقده سماه الاستدلال باللحظ على الضمير أورد فيه نماذج فاقعة الدلالة استقاه من التراث الإسلامي الأدبي على أثر العين في التواصل والإبانة ، كما إن للعين مساحة واسعة فيما نظمه الشعراء من جواهر متلألئة ، وخاصة في مقامات العشق والعشاق كما قال الشاعر عمر بن أبي ربيعة :

أشارت بطرف العين خشية أهلها إشارة محزون ولم تتكلَّمِ

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبًا وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيَّمِ [1]

وقد ورد في التنزيل العزيز موارد للعين تحكي صوراً حركية تتباين بتباين السياق والحال فأنبئ على ذلك تباين في الدلالة ترشح لها كل حركة للعين يوضحها الجدول (٣)

الجدول (٣)

حركات الوجه في القرآن الكريم

نوع الحركة	الإشارة القرآنية	المعنى والدلالة

(١) العمدة ، لابن رشيق ، ج١،ص ٣١٢ .

العين المزدرية الهازئة	﴿ ... وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ... ﴾ (١)	الاستصغار للمؤمنين الفقراء بحسب ما تراه عين الكافر الجاحد (٢).
العين الدائرة الوجلة	﴿ ... يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ... ﴾ (٣)	الخوف من القتال والانصراف عنه والنظر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ((كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذراً وخوراً)) (٤).
العين الكارهة الساخطة	﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ (٥)	العداوة والبغضاء ((يعني أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزراً بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك، من قولهم : نظر إليَّ نظراً يكاد يصرعني ويكاد يأكلني)) (٦) .
العين المائلة الزائغة	﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ	الميلان عن مستوى النظر حيرةً وخوفاً ((عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلاّ إلى عدوها لشدة الروع)) (١).

(١) سورة هود ، الآية الكريمة : ٣١ .

(٢) أنظر مجمع البيان ، للطبرسي ، ج ٥ ، ص : ١٤٧ .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية الكريمة : ١٩ .

(٤) الكشاف ، للزمخشري ، ص : ٨٥١ .

(٥) سورة القلم ، الآية الكريمة : ٥١ .

(٦) الكشاف ، للزمخشري ، ص : ١١٣٣ .

	وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾[١]	
العين الضيقة الكليلة	﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ... ﴾ [٣]	الخوف والذل النتاج عن الارتياب والظن ((يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر إلى السيف وهكذا نظر الناظر إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل في نظره إلى المحاب)) [٤].
العين الهامزة الغامزة	﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ﴾ [٥]	مسارقة النظر إلى ما لا يحل النظر إليه ((استراق النظر إلى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب)) [٦] .

اليد والأصابع

لليد والأصابع حركات لها عدة دلالات أشار إليها القرآن الكريم في بعض الآيات الكريمة كما هو موضح في الجدول (٤) .

الجدول (٤)

حركات اليد والأصابع في القرآن الكريم

نوع الحركة	الإشارة القرآنية	المعنى والدلالة

(٢) الكشاف ، للزمخشري ، ص : ٨٥٠ .

(١) سورة الأحزاب ، الآية الكريمة : ١٠ .

(٣) سورة الشورى ، الآية الكريمة : ٤٥ .

(٤) الكشاف ، للزمخشري ، ص : ٩٨٢ .

(٥) سورة غافر ، الآية الكريمة : ١٩ .

(٦) الكشاف ، للزمخشري ، ص : ٩٥٤ .

رد اليد	﴿..جَـــاءَتْهُمْ رُسُـــلُهُمْ بِالْبَيِّنَـاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِـي أَفْـوَاهِهِمْ وَقَـالُوا إِنَّـا كَفَرْنَـا بِمَـا أُرْسِـلْتُمْ بِـهِ وَإِنَّـا لَفِـي شَـكٍّ مِمَّـا تَـدْعُونَنَا إِلَيْـهِ مُرِيبٍ﴾ (١)	الغيظ ، والضجر ، والضحك ، والاستهزاء ((فعضوها غيظاً وضجراً مما جاءت به الرسل ، أو ضـحكاً واسـتهزاء كمـن غلبـه الضـحك فوضع يده على فيه ، أو أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم إنا كفرنا بما أرسلتم به ، أي : هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره)) (٢).
عض الأنامل	﴿... وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَـوْا عَضُّـوا عَلَـيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ... ﴾ (٣)	الحيـرة ، والسـكوت ، والكتمـان ((عضـهم الأنامـل غيظـاً إذا خلـوا ، وقـل لهـم : إن الله عليم مما هو أخفى مما تسرونه بينكم ، وهو مضمرات الصدور)) (٤) .
جعل الأصابع في الآذان	﴿... يَجْعَلُـونَ أَصَـابِعَهُمْ فِـي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَـذَرَ الْمَـوْتِ ... ﴾ (٥) ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُـمْ جَعَلُـوا أَصَـابِعَهُمْ فِـي آذَانِهِمْ... ﴾ (٦)	إن الحركة المتجلية في هذه الآيات تدل على المبالغة في الخوف من الموت لشدة التعلق بالحيـاة ، والاسـتهزاء النـاتج عـن الجهـل المركب ؛ لأن ((المنافق يدفع عاجل الضرر ولا يطلب آجل النفع)) (٧).

المبحث الثالث

اللوازم الساندة للغة الجسد في القرآن الكريم

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية الكريمة : ٩ .

(٢) الكشاف ، للزمخشري ، ص : ٥٤٦ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١١٩ .

(٤) الكشاف ، للزمخشري ، ص : ١٩٢ .

(٥) سورة البقرة ، الآية الكريمة : ١٩ .

(٦) سورة نوح ، الآية الكريمة : ٧ .

(٧) مجمع البيان ، للطبرسي ، ج١ ، ص ٥٨ .

هنـاك أدوات يسـتعملها الإنسـان أثنـاء نشـاطاته المتنوعـة يمكـن أن نسـميها اللوازم المساندة كالنظارة ، والقلم ، والسيجارة ، والهاتف الجوال ، والعصا ، واللباس ،وغير ذلك كثير . وهذه اللوازم ((تمدنا بمعانٍ مخصوصةٍ ؛ ذلك أن بعضها توابع لأعضاء الجسد المومئة ، وكواشف للحالات النفسية والذهنية التي تعتري صاحبها ، فهيئة حمل المرء لقلمه لها دلالة على أنه كتب ، أو يكتب ، أو يفكر مطرقاً وهو يمسك بقلمه ، وقد يصل الأمر أحياناً إلى قضم القلم)) [١]

وتوجد في تراثنا الإسلامي الكثير من الأمثلة على هذه اللوازم الساندة ((خرج الحجّاج يريد العراق والياً عليها ، في اثنى عشر راكباً على النجائب ، حتى دخل الكوفة فجأةً حين انتشر النهار ؛ وقد كان بُشُر بن مروان بعث المهلب إلى الحرورية ؛ فبدأ الحجّاج بالمسجد فدخله ، ثم صعد المنبر وهومتلثّم بعمامة خزٍّ حمراء ، فقال : عليّ بالناس ! فحسبوه وأصحابه خوارج ، فهمّوا به ، حتى إذا اجتمع الناس في المسجد قام فكشف عن وجهه ، ثم قال :

أنا ابنُ جلا وطلاّعُ الثّنايا متى أضع العمامة تعرفوني [٢]

أما والله إني لأحتمل الشر بحمله ، وأحذوه بنعله ، وأجزيه بمثله ؛ وإني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها ، وإني لصاحبها ، وإني لأنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم)) [٣] .

وواضح من خطبة الحجّاج التهديد والوعيد المتحققان من الحركة الجسدية من اللوازم الساندة ، وهي العمامة ، ودلالة اطراحها المفضية إلى أن يغدو صاحبها حاسر الرأس هي الجد والتشاغل عنها بهم .

وقد يرفع الفارس سيفه ملوحاً به ليهدد خصمه ملقياً في قلبه الرعب ، أو يرفع السوط مخيفاً بها دابته وغير ذلك من اللوازم الساندة .

وورد في القرآن الكريم ثلاثة موارد لهذه اللوازم كما هو واضح في الجدول (٥) .

---

(١) لغة الحركات ، لباكو ، ص : ٧٠ .

(٢) من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحي ، رواها الأصمعي في الأصمعيات .

(٣) البيان والتبين ، للجاحظ ، ج٢ ، ص : ٣٠٧ . ٣٠٨ .

الجدول (٥)

للوازم الساندة التي ذكرها القرآن الكريم

نوع اللوازم	الإشارة القرآنية	المعنى والدلالة
النعلُ	﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً ﴾ (١)	التبرك ، والتعظيم
القميص	﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ فَلَمَّا رَأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ (٢)	جرس حصحصة الحق ، وبراءة النبي يوسف **(على نبينا وآله وعليه السلام)**
الخلخال	﴿... وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ... ﴾ (٣)	العفة ، والتستر

الخاتمة

(١) سورة طه ، الآية الكريمة : ١٢ .

(٢) سورة يوسف ، الآيات الكريمة : ٢٦ . ٢٧ . ٢٨ .

(٣) سورة النور ، الآية الكريمة : ٣١ .

يكاد دور اللغة يقترب من دور العناصر التي لا يستطيع الإنسان العيش بدونها ، فبدون عنصر الأوكسجين تستحيل الحياة لبني الإنسان والحيوان ، وهكذا هي اللغة مهما كان شكلها لا يمكن للإنسانية أن تمارس حياتها بدون هذه النعمة الإلهية التي منحها الله لعبادة بعد أن زوده بجهاز النطق لأصواتها ، وعزز لغة الكلام رغم وسعها وتغطيتها لمراد الإنسان بلغة الجسد التي أضفت جمالاً ورونقاً للغة الكلام وخففت عنه في بعض الأحيان بحسن التعبير وجماله عن طريق الرأس والوجه والعين واليد والأصابع ، فضلاً عن اللوازم الساندة لهذه الأجزاء من جسم الإنسان كالقلم والنظارة وبعض الأزياء المعبرة عن المعنى والدلالة .

وأشار القرآن الكريم لهذه اللغة ، أعني لغة الجسد واللوازم الساندة التي ذكرت في البحث ، فضلاً عن قوله تعالى ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ (١) وقوله تعالى ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٢)وقوله تعالى ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣)

الاستنتاجات

يمكن القول أن القرآن الكريم وظف لغة الكلام للتخاطب والتفاهم بين أبناء الإنسان وعززها بلغة الجسد التي تكون عوضاً ناجحاً ومنتجاً للغة الكلام ، فضلاً عن كونها تجزي عن اللفظ ، وتؤدي الدلالة المطلوبة بصورة أوضح في بعض الأحيان .

التوصيات

ضرورة تأليف معجم للغة الجسد ، واللوازم الساندة له ، ويلحق بالمعاجم الخاصة بالألفاظ والمعاني لما له من أهمية للدارسين والباحثين .

المصادر والمراجع

(١) سورة الحجر ، الآية الكريمة : ١٩ .

(٢) سورة طه ، الآية الكريمة : ٥٠ .

(٣) سورة فصلت ، الآية الكريمة : ٢١ .

القرآن الكريم

١. البيان والبين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، دار الجيل ، ب ت .

٢. التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، العلامة المصطفوي ، مطبعة اعتماد ، إيران ، ١٣٨٥هـ .

٣. الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي ، ط٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٦م .

٤. دلائل الإعجاز ، أبو بكر عبدالقاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، مكتبة الخانجي ،ط٥ ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٤م .

٥. العقد الفريد ، شهاب الدين أحمد ابن عبد ربة الأندلسي ، ج٢ ، منشورات دار مكتبة الهلال ، تقديم خليل شرف الدين ، بيروت ، ١٩٨٦م .

٦. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد عبدالقادر أحمد عطا ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م .

٧. قاموس لغة الإشارة للصم ، ماجدة السيد عبيد ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤٣٢هـ . ٢٠١٠م .

٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري ، دار المعرفة ، ط٢ ، بيروت ، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥ م .

٩. لغة الحركات ، نتالي باكو ، ترجمة سمير شيخاني ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٥م .

١٠. مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م .